مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (3)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (3) 2015

دور الشاهد في بناء القاعدة النحوية

الدكتور إبراهيم البب*
حكمت علي بربهان**

(تاريخ الإيداع 19 / 4 / 2015. قبل للنشر في 29 / 6 / 2015)

□ ملخّص □

القواعد قوانين مستنبطة من كلام العرب الذين لم تفسد سلائقهم، والشاهد يمثل روح القاعدة، إذ يضفي عليها الحياة والمتعة والأصالة، والكلام العربي الذي يستشهد به هو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما أُثر من كلام العرب شعراً ونثراً منذ الجاهلية حتى نهاية عصر الاحتجاج. ومصطلح الشاهد مصطلح عربي أصيل ظهر نتيجة خوف العرب على لغتهم من اللحن، ويعد القرآن الكريم الأصل الأول للاستشهاد، فهو الدعامة التي ترتكز عليها مصادر الاستشهاد الأخرى.

يحاول هذا البحث دراسة العلاقة بين القاعدة النحوية والشواهد، وإظهار دوافع الاستشهاد وطرقه وأركانه ومصادره، والوقوف عند بعض مرادفاته كالاحتجاج والاستدلال والتمثيل.

الكلمات المفتاحية: القاعدة النحوية، الاستشهاد، الشاهد، اللحن.

* أستاذ ، قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، سورية.
** طالب دراسات عليا(دكتوراه) ، قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (3)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (3) 2015

The Role of Illustration in Establishing the Grammatical Rule

Dr. Ibrahim al-Bib*
Hikmet Barbahan**

(Received 19 / 4 / 2015. Accepted 29 / 6 / 2015)

□ ABSTRACT □

Grammatical rules are deduced from Arabic spoken by ideally intuitive Arabic speakers, and illustration is the spirit of the rule, endowing it with life, pleasure, and originality. The Arabic used in illustration is that of the holy Quran, sayings of the Prophet as well as renowned poetic and prosaic statements by Arabs from the Jahileah period up to 150 Hizra,i.e, the end of the period of providing arguments. The term illustration is an original Arabic term that came out of Arab concern over mistakes in Arabic. The holy Quran is the source of illustrations, as it is the pillar upon which all other illustrations depend.

This paper tries to study the relationship between the grammatical rule and illustrations as well as to demonstrate the motives for illustration, its mechanism, principles, and sources. It also tries to address some equivalents such as provision of argument and evidence as well as analogy.

Keywords: Grammatical rule, Providing evidence, Illustration, Mistake

*Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.
**Postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدمة :

بدأ الاهتمام باللغة العربية لمّا نزل القرآن الكريم، وازداد هذا الاهتمام بعد اتساع رقعة الدولة إثر الفتوحات، ودخول الأعاجم الذين لا يعرفون العربية إلى الإسلام إذ بدأ اللحن ينتشر، إضافة إلى رغبة الأعاجم بتعلم لغة الدين الإسلامي؛ لذلك شرع النحاة في تحديد الحقل اللغوي الذي تنتشر فيه العربية، من منظور الناس الذين يتحدثون بها، ومن منظور الزمان الذي تستخدم فيه الفصيحة ولم تفسد بعد. وقد حدد اللغويون المكان بالمواطن التي يقطنها العرب الخلّص، وتبعد عن أماكن الاحتكاك بالأعاجم، كما بذل النحاة جهوداً جبارة في سبيل تقعيد النحو والحفاظ عليه وقد حفظ بعضهم من الشواهد اللغوية ما لا يقف عند حدّ معين،وهذا يؤكد أهمية الشاهد في إثبات أو بناء القاعدة النحوية.

أهمية البحث وأهدافه :

يهدف البحث إلى إبراز دور الشاهد في بناء القاعدة النحوية، وإظهار طرق الاستشهاد وكيفيته، و كما يهدف إلى بيان الفارق بين مصطلح الاستشهاد وبعض المصطلحات الأخرى كالاستدلال والتمثيل والاحتجاج، ثم يحاول أن يبرهن أن مصطلح الشاهد مصطلح عربي أصيل ظهر نتيجة خوف العرب على لغتهم من اللحن.

منهجية البحث :

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف اللغة في نفسها ومن أجل نفسها، ويدرس الظاهرة كما هي في الواقع ويعنى بتحليلها وتفسيرها وتصويرها ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها كيفياً أو كمياً، فالتعبير الكيفي أو الكمي يصف لنا الظاهرة وحجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة عن طريق جمع المعلومات والبيانات عنها وإخضاعها للدراسة الدقيقة.

دور الشاهد في بناء القاعدة النحوية:

الشاهد لغة واصطلاحاً: الشاهد اسم فاعل من الفعل شَهِدَ " وهو يدل على حضور وعلم وإعلام " [1]. وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها :**[شَهِدَ شاهدٌ من أهلها]**[2]، وجاءت كلمة شهيد بمعناها في بعض المواضع كقوله تعالى : **[وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ]** [3]. وقد جاء في لسان العرب لابن منظور : " الشاهدُ : العالم الذي يبيّن ما علمه "، واستشهده سأله الشهادة، وفي التنزيل **[وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ]**[4]، والشهادة خبر قاطع، تقول منه: شَهِدَ الرجل على كذا، وربّما قالوا شَهْدَ الرجل بسكون الهاء للتخفيف..... وشَهِدَ الشاهِدُ عند الحاكم أي بيّنَ ما يعلمه و أظهره، يدلُّ على ذلك قوله تعالى: **[مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ]**[5].

---

[1] ـ معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط/1/،1411هـ-1991م، ج3 / 221.

[2] ـ يوسف 26، وينظر :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،محمد فؤاد عبد الباقي،دار الكتب المصرية،القاهرة، 1939م،ص493-494.

[3] ـ البقرة 282، وينظر :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،ص 494-495.

[4] ـ البقرة 282 .

[5] ـ التوبة 17 .

و المشاهدة : المعاينة، و أشهدته على كذا فشهد عليه أي صار شاهداً عليه. والشاهد : اللسان، من قولهم : لفلان شاهدٌ حسنٌ أي : عبارة جميلة [6]. واستشهده، سأله أن يشهد،... و الشاهد:الأمينُ في شهادة " [7]"، وقولهم : أشهد بكذا أي أحلف " [8].

وجاء في كتاب الفروق : " الشاهد نقيض الغائب في المعنى ولهذا سمي ما يدرك بالحواس ويُعْلَم ضرورة شاهداً، وسمي ما يُعلم بشيء غيره..... وسُمِيَ القديم شاهداً لكل نجوى لأنه يعلم جميع الموجودات بذاته فالشهادة علم يتناول الموجود ".[9] ومن المعاني اللغوية للشاهد : الحضور، العلم والإعلام، الخبر القاطع، إظهار وتبيان ما خفي، الدلالة، المعاينة أو الإدراك بالرؤية، اللسان أو العبارة الجميلة، الأمانة، القسم أو الحلف، الكاشف..... والمعنى اللغوي العام للاستشهاد هو طلب الشهادة فالشاهد ما يؤتى به من الكلام العربي الفصيح ليشهد بصحة لفظ أو صيغة أو عبارة أو دلالة إلى العربية، ومن خلال الشاهد يستطيع اللغوي تبين صحة القاعدة النحوية أو فسادها، وهناك حاجة ملحة للشواهد في اللغة العربية حتّى لا ينسب إلى اللغة ما ليس منها.

القاعدة لغة واصطلاحاً: القعود نقيض القيام، يقال: قَعَدَ قُعوداً إذا جلس من قيام، قعدت الفسيلةُ: صار لها جذعٌ تقوم عليه، قَعَدَ للأمر: اهتم به وتهيأ له، قعد بفلان: أجلسه، قعد بقرنه: كان كفئاً له، قعد عن الأمر: تأخر عنه، كما في قوله تعالى: [**وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**][10].قعدت النخلة: حملت سنة ولم تحمل أخرى، وقعد يفعل كذا: طفق يفعله، كما في قوله تعالى: :[**وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**][11]. وقاعدهُ: جالسه، وقعد معه، قعّده عن كذا: حبسه عنه، والقاعد عن الأمر: من لا يهتم به، أو من يتراخى في إنجازه، كما في قوله تعالى: [**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**][12]. والمرأة القاعدة التي انقطعت عن الولد، أو عن الحيض، أو عن الزواج، والجمع: قواعد، كما في قوله تعالى: [**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**][13].والقاعدة من البناء أساسه، وقواعد

---

6 – ينظر: لسان العرب لابن منظور، تح:عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف،القاهرة، د.ت مادة شهد226/4 .

– ينظر:القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط/ 5/، 1416هـ – 1996م، [7]مادة(شهد) .

[8] – مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، دار الكتاب العربي بيروت، ط/ 1/،1979م، ص 349 .

– ينظر: الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، [9]ط/5/،1401هـ1996م،ص88 .

[10]– التوبة 90.

[11]– الأعراف86.

[12]– النساء95.

[13] – النور60.

البناء أساطينه التي تعمده [14]. وقعّد القاعدة: وضعها. والقاعدة الضابط أو الأمر الكلي الذي ينطبق على الجزئيات، مثل: كلُّ أَذون ولود، وكل صَمُوخٍ بيوض. [15]

ويبدو أن المعنى الاصطلاحي أُخِذ من معنى الثبات وقوام الشيء أو أساسه، فالقاعدة بالمعنى الاصطلاحي العام: هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها، وبهذا تكون القاعدة مقولة ثابتة تنطبق على جميع أفراد الجنس أو أجزائه التي تناولتها، وقد شاع ورود اللفظ بهذا المفهوم في ميادين فكرية عدة، كعلوم القرآن والتفسير والعقيدة وغيرها.

أما في سياق النحو فالمفردة غير معروفة بهذا المفهوم الاصطلاحي عند النحاة الأوائل، ومن يتتبع المؤلفات النحوية لا يجد استخداماً لها حتى القرن الثالث، وكأن المقولات النظرية لأحكام النظام التركيبي التي في أذهانهم لم تنضج بعدُ كي يُعبَّرَ عنها بمصطلح معين فغاب عنهم تداول هذه المفردة. ومع تطور الدرس وتجريد الضوابط لنظام اللغة التركيبي، أصبحت الكلمة تشيع عند النحاة الذين جاؤوا بعد ذلك، وعلى الرغم من ذلك لم يتم العثور على تعريف اصطلاحي لها فالمستخلص من خلال النظر في السياقات التي ترد أنها تأتي بمعانٍ قريبة أو مشابهة للمفهوم السالف، ولعلها تسربت بدلالتها الاصطلاحية من الميادين العلمية المتعلقة بالفقه والعقيدة، نظراً لتداخل العلوم في الحضارة العربية الإسلامية[16].

وللشواهد وظيفتان أساسيتان :

الأولى : إثبات واقع اللغة في مستوياتها : الأصوات، والصرف أو الصيغ، والنحو أو التركيب، والمتن والدلالة ،

والثانية : تعيين ضوابط اللغة وحدودها، وسنن أهل السليقة فيها. [17]

أمّا الشاهد اصطلاحاً فهو " عبارة عمّا كان حاضراً في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الحق " [18]، وهو الدليل الذي يعتمد عليه في الأخذ بقاعدة ما، ورفض أخرى أو"هو ما يذكر لإثبات قاعدة كلية من كتاب أو سنة أو كلام عربي فصيح " [19]. فالشاهد هو الدليل الذي يؤخذ من الكلام العربي الفصيح قصد إثبات صحة قاعدة نحوية أو نفيها من المادة المحتج بها.

فالاستشهاد : هو ذكر الأدلة النصية المؤكدة للقواعد النحوية، أي التي تبنى عليها هذه القواعد " [20].

والشواهد هي تلك الأقوال (من نثر أو شعر أو قراءة قرآنية) التي يحتج بها للقاعدة النحوية اطراداً أو شذوذاً.[21]

ويرى محمد عيد أن الشاهد في المصطلح النحوي ما يسوقه النحاة من أدلة لغوية يستنبطونها من لغة العرب الفصحاء شعراً كانت أو نثراً لتكون شاهداً على قواعدهم النحوية.[22]

---

[14] – ينظر: لسان العرب، مادة (قعد) ،362/4.

[15] – ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط/ 3/، 1993 ، ص777.

[16] ينظر: القاعدة النحوية /تحليل ونقد/، د. محمود حسن الجاسم، دار الفكر، دمشق، ط/ 1/ ، 1428هـ-2007م، ص25-27.

[17] ـ ينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة/الواقع ودلالته/ د. محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ-1986، ص47 .

[18] ـ التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969 م، ص93.

[19] ـ مصادر التراث النحوي، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية مصر، د.ط ، 2003 ، ص 71 .

[20] ـ أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط / 1/،2007م، ص 219 .

[21] ـ النحو العربي شواهده ومقدماته ، أحمد ماهر البقري ، مؤسسة شباب الجامعة إسكندرية 1407هـ . 1987 م،ص41 .

[22] ـ ينظر: الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، د.محمد عيد، عالم الكتب ، القاهرة، ط/ 3/،1988، ص 86 .

وقد ورد مصطلح الشاهد كما ذكرنا سابقاً في أكثر من سورة قرآنية كقوله تعالى: **[شَهِدَ اللهُ أنه لا إله إلّا هو]**[23]، وقوله تعالى: **[وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ]**[24].كما ورد في كلام العرب في النثر والشعر [25]، فمصطلح الشاهد مصطلح عربي أصيل ظهر نتيجة خوف العرب على لغتهم من اللحن بعد دخول الأعاجم إلى بلادهم وإسلامهم نتيجة الفتوحات..... إذ دبَّ اللحنّ ووصل إلى لغة القرآن مما أدى إلى وضع قوانين وضوابط تصون اللسان العربي من الخطأ والزلل وكان أساس هذه القوانين هو الشواهد اللغوية المتنوعة من قرآن كريم وحديث نبوي شريف وشعر وكلام عربي فصيح.

وقد اهتم علماء العربية بهذا الموضوع وتوسّعوا في دراسة الشواهد العربية، ومن صور ذلك: قام الثعالبي بتخصيص القسم الثاني من كتابه فقه اللغة وسر العربية لموضوع الاستشهاد بالقرآن الكريم على طرق العرب في الكلام وسماه:" سرُّ العربية في مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثرها " [26].

مرادفات الاستشهاد:

هناك تداخل بين مصطلح الاستشهاد وبعض المصطلحات الأخرى كالاحتجاج والاستدلال والتمثيل، وعند التدقيق في هذه المصطلحات يتضح أنها متداخلة حيناً ومتباينة حيناً آخر.

فمصطلح الاحتجاج يعني: إثبات صحة قاعدة أو استعمال أو كلمة أو تركيب بدليل نقلي صحَّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة، ويراد به : إثبات شيء بدليل نقلي يعود إلى من يصح الاحتجاج به لتوثيق مسألة من المسائل، أو ما يؤتى به من الكلام الفصيح ليشهد بصحة العبارة دلالياً أو نحوياً ومدى موافقتها أو مخالفتها للعرف اللغوي. أما الاستشهاد فهو: استحضار كلمة أو عبارة مرويّة، أو بيت شعري مرويّ عن العرب الذين يُحتجّ بلغتهم؛ لإثبات صحّة أو فساد عبارة ما [27].

أما مصطلح الاستدلال فيعني: تقرير ثبوت الأثر لإثبات المؤثّر، "وهو فعل المستدلّ، ويعني طلب معرفة الشّيء من جهة غيره " [28]، وقال الشّريف الجرجاني في تعريفه للاستدلال: " هو تقرير الدّليل لإثبات المدلول، سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر، فيسمى استدلالاً لِمّيّاً أو من أحد الأثرين إلى الآخر "[29].

أما مصطلح التمثيل؛ فيُطلق على النّص المصنوع، أو غير الموثّق، الذي ساقه نحويّ عن من لا يُحتجُّ بكلامه، غير ملزم، وهدفه الإيضاح والبيان، ويُطلق على ما ليس من كلام العرب القدامى، وهو من التّمارين غير العلميّة، ويستعمل الآن في الكتاب المدرسي الحديث: كقولهم مَثِّل لذلك ؟، أَعْطِ أمثلة...

والأمثلة جُمل يصوغها المصنّف، ويصنعها بما يتّفق مع التراكيب العربية، وإذا كان الشاهد يذكر لإثبات القاعدة النحوية؛ فإنّ المثال يذكر لإيضاحها فقط. ويقصد بالأمثلة: الجمل والعبارات الافتراضية التي يأتي بها النّحويّون

---

[23] ـ آل عمران 18 .

[24] ـ البقرة 282 .

[25]- ينظر: الاستشهاد والاحتجاج باللغة 85-94، النحو العربي شواهده ومقدماته ص39-41.

[26] ـ فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، تح: أهلين سيناء ، دار الجبل ، بيروت ط / 1 / 1418 هـ- 1998 م . ج 2 .

27- ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح: أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط / 1/ 1976 م ص33، في أصول النحو ، سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ط/2/،1376هـ-1957م ، ص6،في أصول النحو ، صالح بلعيد ، دار هومة ، الجزائر دط ، 2005 م ، ص91-92.

[28] ـ الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري ، ص 61 .

[29] ـ ينظر: التعريفات ،للشريف الجرجاني ص22 .

لإيضاح قواعدهم، ويدخل ضمن الأمثلة، شعر الشعراء الذين عاشوا بعد عصر الاحتجاج ؛أي بعد تاريخ وفاة إبراهيم بن هَرَمَة، أو بَشّارْ بن برد" [30]. فالفرق بين الاحتجاج والاستدلال يكمن في:"أن الاستدلال يعني طلب الشيء من جهة غيره،والاحتجاج هو طلب الاستقامة في النّظر،سواء كان من جهة ما يطلب معرفة، أو من جهة غيره " [31].

فالاحتجاج نابع من الطّرف الذي يريد توصيل فكرته بأيّ وسيلة، أي أنّه يكون بإرادة الطّرف المحتجّ؛ بغية إقناع الخصم أو المتلقي، أمّا الاستدلال فيكون بطلبٍ من المتلقي أي أنّ المتلقّي هو الذي يطلب الدّليل أو البرهان من الطرف الأوّل.

أما الفرق بين الاحتجاج والاستشهاد فيكمن في أن الاحتجاج يستخدم غالباً في المواقف التي تتطلّب المغالبة والجدل بقصد التّفوّق، ونصرة الرّأي، أما الاستشهاد فهو الإخبار بما هو قاطع في الدلالة على القاعدة، فيلتقي بالاحتجاج في البرهنة على صحّة القاعدة المحتجّ بها، فالاحتجاج يستعمل في المواقف التي يحتدم فيها النّزاع والخصام من أجل نصرة الرأي، والتّفوّق على الخصم، أما الاستشهاد فهو إبلاغ الرأي القاطع والموثوق به للغير[32].

أمّا الفرق بين الاستشهاد والتّمثيل فيعود إلى المادّة اللغويّة التي يسوقها النّحويّ، فإذا كانت فصيحة، فإنّه يقوم بفعل المستدلّ؛ أمّا إذا كانت مصطنعة فإنّه في مقام تمثيل. فالفرق بين الشّواهد والأمثلة يتلخص في أنّ الشواهد إنما سيقت في الأصل لإثبات صحّة القاعدة التي استنبطها النّحويّون القدماء بعد استقرائهم لكلام العرب، ويكثرُ سوقها، ومناقشتها عندما يختلف النحويّون في إجازة تركيب أو رفضه، أو إجازة صيغة أو رفضها فيحتاجُ المجيز أن يسوق نصّاً يشهد له بصحّة دعواه، كما يكثُرُ سوْقُ الشواهد أيضاً لبيان ما خرج عن القاعدة المستنبطة وشذّ عنها، وعلى سبيل المثال : إننا نلاحظ أنّ نصب المفعول به لا يساق له شاهد، وكذلك رفع المفعول به عند بناء الفعل للمجهول على أنّه نائب فاعل ؛ ولكن رفع المفعول به ونصب الفاعل يسوق له النّحويّون شاهداً، كنصب المفعول به مع بناء الفعل للمجهول، وإقامة غير المفعول به مقامه مع وجوده مقام الفاعل ؛ يسوق النّحويّون من الشّواهد ما تيسّرَ من القرآن الكريم، ومن الشّعر ؛ فمن القرآن الكريم:[**لِيَجْزِيَ قَوْمَاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**][33] ببناء يجزي للمجهول، ومن الشّعر قول رؤبة بن العجاج :

لَمْ يُعنَ بِالْعَلْياءِ إِلَّا سَيِّدَا وَلَا شَفَى ذَا الغيّ إِلَّا ذُو هُدى [34]

فـ "(يُعْنَ) مضارع مبني للمفعول من (عني بكذا)، و(بالعلياء) نائب الفاعل،و(سيّداً) مفعول به مؤخر"[35].

وكذلك كون صاحب الحال معرفة لا يساق له شاهد؛ أمّا كونه نكرة فإنّه يُساقُ له غيرُ شاهد . [36] أمّا الأمثلة فهي جُمَل يصوغها المصنف ويصنعها بما يتّفق مع التراكيب؛ ليوضّح بها القاعدة وتُعدّ بمنزلة الجانب التّطبيقي

---

30 ـ ينظر: النحو التّعليمي في التراث العربي ، محمد إبراهيم عبادة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، دط ، ص 89،مصادر التراث النحوي ،ص71، في أصول النحّو ، صالح بلعيد ، ص 91.

31 ـ الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري ، ص 61 .

32 ـ ينظر: الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، محمد عيد ، ص86.

33 –الجاثية :13

34 –ديوان رؤبة بن العجاج، تح: وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط/ 2/،1980م،ص73 ،وينظر: شرح ابن الناظم ص170، شرح الأشموني 184/1، شرح ابن عقيل510/1،شرح التسهيل128/2،شرح الكافية الشافية609/2،همع الهوامع162/1.

35 –شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1/،1421 هـ2000م،430/1.

36 ـ ينظر: النحو التعليمي في التراث العربي ،ص90.

الإيضاحي للقاعدة وليست دليلاً على صحتها. وممّا سبق نستنتج أن المعيار الأساسي والدّقيق الذي يُسعِفنا في التّفريق بين هذه المصطلحات هو اللغة المستعملة من قِبل النحويّ؛ فإذا كانت مصطنعة، خارجة عن حدود الفصاحة، تعليميّة فهي مجرّد لغة تمثيل. وأمّا إذا كانت لغة فصيحة، سليمة، يصلح النّسج على منوالها، صادرة عن الأعراب في زمن الاستشهاد ومكان السّليقة؛ فهي لغة استشهاد أو لغة احتجاج أو لغة استدلال[37].

أمّا عن وجه التداخل بين هذه المصطلحات فيكمن في أن الاستشهاد هو ذكر الأدلة النصية المؤكدة للقواعد النحويّة، أي التي تتبني عليها هذه القواعد كما تبيّن في مفهوم الاستشهاد . والاستشهاد هنا بعض مدلول الاحتجاج ؛ فالاحتجاج هو الاستدلال على صحّة القواعد النّحوية مطلقاً، وبهذا الإطلاق يشمل كون الأدلة نصوصاً لغويّة أو أصولاً نحويّة، ولكن كثيراً ما يستخدم هذان الاصطلاحان معاً في التراث النّحوي للدّلالة على النّصوص اللغويّة التي كانت مصدر التّقنين والتقعيد، وهذه المعاني المحددة للاستشهاد والاحتجاج توضّح العلاقة بينهما وبين التمثيل ؛ فالتمثيل يهدف إلى شرح القواعد النحويّة بذكر أمثلة لغويّة توضّح هذه القواعد، دون أن تكون هذه الأمثلة المصدر الذي بنيت عليه واستحدثت منه تلك القواعد، والاحتجاج ما يشتقّ من الاستشهاد، فالنّحويّ عندما يسوق شاهداً فهو يقدّم حجّة أو دليلاً على صحّة كلامه ؛ أما التمثيل فيلجأ إليه النحويّ من أجل التبسيط والتّوضيح ؛ فهو خطوة تالية للاستشهاد والاحتجاج ؛ فالاحتجاج يُستخدم في المواقف التي تتطلّب المغالبة والجدل بقصد التّفوّق ونصرة الرّأي، والاستشهاد هو الإخبار بما هو قاطع في الدلالة على القاعدة، فيلتقي بالاحتجاج في البرهنة على صحّة القاعدة المحتجّ بها، والاستشهاد هو المادة الأساس التي يحتجّ بها المحتجّ الذي يعتمد هذه المادّة لتأكيد القاعدة أو دحضها، وهذا يعني أن الاستشهاد هو المصطلح الدّقيق الذي ينبغي أن يُطلق على هذه العمليّة (أي عمليّة سوق الشّواهد) وهو الأصل الذي تفرّعت منه تلك المصطلحات؛ لأنّ الاحتجاج من الحجّة فصاحبه يبرّرُ ويُعَلِّلُ ويُناشد إقناع الخصم من أجل نُصْرَةِ رأيه وتحقيق الغلبة؛ أما الاستشهاد : فهو تقديم الدّليل القاطع الذي لا ينتظر صاحبه من المتلقّي قبولاً فهو مقبول بلا جدال لأنه قاطع، وهذه الصّفة لوحدها كافية له. ويلاحظ أن الحجج يمكن أن نطلق عليها صفة الضّعف؛ فيُقال:حجّة واهية، أمّا الشّواهد أينما وردت فإنها تتّصف بالقوة وثِقل الوزن؛ فيقال: حجّة واهية ولا يقال: شاهد واهٍ. إنّ الاستشهاد والأدلة النّصيّة في الاحتجاج ترتبط بفكرة زمنية محددة يرجع إلى نصوصها في بناء القواعد النّحويّة، أي أن نصوصها دون غيرها تكون محور الارتكاز في البحث النّحوي؛ إذ تصبح مصدر القواعد ومحكّ صحّتها. فالأساس الذي ترتكز عليه قضيّة الاستشهاد عند العرب هو فكرتهم عن اللغة، تلك الفكرة التي عبّروا عنها باصطلاح (السّليقة اللغوية) فقد كانت تلك الفكرة وراء تحديدهم للنّصوص التي تناولوها بالدّرس وبنوا عليها القواعد، كما كانت السّبب فيما استلزمه هذا التّحديد من إطار زماني ومكاني معاً[38].

هناك ثلاثة أركان للاستشهاد هي : الشاهد، مصدر الشاهد، المستشهد. وتتم عملية الاستشهاد نتيجة تفاعل هذه الأركان عبر مجموعة من العلاقات كالالتزام (الامتثال)، أو النقل، أو الاتفاق. ويقصد بالالتزام أو الامتثال توفر جملة من الشروط التي حددها النحاة وينبغي على المستشهد أن يمتثل ويلتزم بها، وإن لم يفعل ذلك ترد شهادته.

---

[37] ـ ينظر: في أصول النحو ، صالح بلعيد ، ص92 .

[38] – ينظر: أصول التّفكير النّحوي، ص219–220 ، في أصول النّحو ، صالح بلعيد ، ص92.

ويقصد بالنقل أن يأخذ المستشهِد الشاهدَ من منبعه الصافي فاللغة تؤخذ سماعاً من الرواة السقاة ذوي الصدق والأمانة ويتّقى المظنون أي المشكوك فيه. ومن أركان النقل : الناقل، والمنقول (المادة)، والمنقول عنه (الراوي أو غيره)، ويشترط في الناقل أن يكون عدلاً، رجلاً كان أو امرأة، حرّاً كان أو عبداً، كما يشترط في نقل الحديث [39].

ويقصد بالاتفاق : تسليم النحاة بحجية الشاهد وقبوله في عملية الاستشهاد. وقد يكون الشاهد آية قرآنية أو حديثاً نبوياً أو من كلام العرب (شعراً أو نثراً)، ويقصد بالمستشهد : النحوي أو المصنف الذي يستخدم الشاهد، أمّا مصدر الشاهد فيتمثل في الراوي أو الشاعر أو القارئ أو كتاب من كتب اللغة أو مصنف من مصنفاتها.

وقد يكون مصدر الشاهد راوية سمع مباشرة من المصدر (الرسول أو الشاعر أو القارئ أو غير ذلك)، ونقل ما سمعه دون أن يحدث فيه تصرفاً [40]. ويشترط في المنقول عنهم أن يكونوا عرباً أقحاحاً لم يختلطوا بغيرهم من العجم، ومما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم: " حدثنا أبوبكر بن دريد قال: رأيت رجلاً في الوراقين بالبصرة يقرأ كتاب المنطق لابن السكيت ويقدم الكوفيين، فقلت للرياشي، وكان قاعداً في الوراقين، ما قال؟ فقال: إنما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز " [41].

مصادر الاستشهاد :

إن أدلة النحو من سماع وقياس وإجماع واستصحاب حال هي الأصول التي تُعدُّ أعمدة للاحتجاج اللغوي والتي أُصّلت من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب.

1 ـ القرآن الكريم : وهو الوحي المنزّل على محمد (ص) للبيان والإعجاز، وكلام الله تعالى أفصح كلام وأبلغه، والكتاب الكريم أعرب وأقوى في الحجة من الشعر [42].

وقد أجمع العلماء على أنَّ نصوص القرآن الكريم هي المصدر الأساس في تقعيد اللغة العربية فهو كتاب الله المنزّل بلسان عربي مبين، لقوله تعالى: **[إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تَعْقِلون]** [43].

فالقرآن الكريم أعلى درجات الفصاحة والبيان، وألفاظ القرآن لبُّ كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، إليها مفرغُ الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وقد أخذ النحاة بالشاهد القرآني بلا أدنى خلاف بينهم ؛ لأنه من لدن عزيز حكيم، فهو أعلى درجات الفصاحة وأبلغ كلام نزل وأوثق نصٍّ وصل، والقرآن الكريم الأصل الأول لمصادر الاستشهاد، وهو الدعامة التي ترتكز عليها مصادر الاستشهاد الأخرى، فالشعر العربي الجاهلي أو الإسلامي أثرٌ من آثار القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم ما جمع هذا الشعر [44]. والقراءات القرآنية هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو في كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما [45]. وهي الوجوه

39–ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد الله وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط/3/، د.ت، 137/1 .

40–ينظر: في أصول النحو، صالح بلعيد، ص 35.

41 ـ الفهرست ، لأبي الفرج محمد بن إسحق ابن النديم ، دار المعرفة ، بيروت ، 1398 هـ . 1978 م،ص91 .

42 ـ ينظر:معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت،ج14/1، البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ، القاهرة ، د.ت ، 318/1 ،خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب،عبد القادر بن عمر البغدادي ،تح:عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/ 4/ ،1428هـ1997م، 9/1.

43 ـ يوسف 2 .

44–ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي،تح: د.رجب عثمان محمد، مراجعة: د.رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/1/ ،1418هـ–1998م،ج/1/، ص46، مصادر التراث النحوي ، محمود سليمان ياقوت ص 82- 84، منزلة الاستشهاد بالقرآن الكريم بين مصادر الاستشهاد النحوية ،محمد عبد الله عطوات (مقال منشور في مجلة التراث العربي)،دمشق،العدد 99 /100،ص299 .

45 ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 318/1 .

المختلفة التي سمح النبي(ص) بقراءة النص القرآني بها قصداً للتيسير، والتي جاءت وفقاً للهجة من اللهجات العربية القديمة، فالقراءة من جهة الاستشهاد اللغوي البحت : نص عربي رواه أو قرأ به من يوثق في عربيته، ولهذا فهي ـ وإنْ اختلف العلماء في صحة التعبد والصلاة بها ـ تحقق الشرط الذي حدده اللغويون وهو النقل عن العربي الثقة، حتّى ولو كان فرداً، بل إنَّ السيوطي يصرِّح بما هو أكثر من ذلك حين ينفي اشتراط العدالة [46].

2 ـ الحديث النبوي الشريف : أجمع العلماء على أن الحديث النبوي الشريف هو كل ما ثبت عن النبي(ص) من قولٍ أو فعل أو تقرير، وتشتمل كتب الحديث على أقوال النبي (ص) وعلى أقوال الصحابة التي تحكي فعلاً من أفعاله أو حالاً من أحواله، ويوجد في كتب الحديث أقوال صادرة عن بعض التابعين... وهذه الأقوال المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رسول الله (ص) من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفظ لغوي أو وضع قاعدة نحوية [47] . ويسمى الحديث النبوي الشريف عند الفقهاء بالسنَّة وتقسم إلى: سنّة فعلية وسنّة قولية وسنّة تقريرية.

ويعد الحديث النبوي الشريف الأصل الثاني من أصول الاستشهاد بعد كلام الله عز وجل. وقد كان احتجاج النحاة الأوائل بالحديث النبوي قليلاً وتابعهم في ذلك النحاة الذين جاؤوا بعدهم، لكنَّ المتأخرين زادوا من عدد الأحاديث المحتج بها وتوسع بعضهم في الاحتجاج به لوضع قواعد جديدة أو استدراك قواعد على ما وضعه الأوائل[48].

3 ـ كلام العرب: ويعد هذا المصدر الأعم والأوسع، وهو ما يوثق بفصاحته من كلام العرب نظماً ونثراً قبل بعثة النبي (ص) وفي زمنه وبعده، ويعد هذا المصدر الأعم والأوسع الذي لا يكاد يحد. وقد وضعت عدة معايير حول ما يوثق بفصاحته من كلام العرب لضمان هذه الفصاحة. إذ بدأ الاهتمام باللغة العربية لمّا نزل القرآن الكريم، وازداد هذا الاهتمام بعد اتساع رقعة الدولة إثر الفتوحات، ودخول الأعاجم الذين لا يعرفون العربية إلى الإسلام إذ بدأ اللحن ينتشر، إضافة إلى رغبة الأعاجم بتعلم لغة الدين الإسلامي؛ لذلك شرع النحاة في تحديد الحقل اللغوي الذي تنتشر فيه، من منظور الناس الذين يتحدثون بها، ومن منظور الزمان الذي تستخدم فيه الفصيحة ولم تفسد بعد.[49]

وقد حدد اللغويون المكان بالمواطن التي يقطنها العرب الخلّص، وتبعد عن أماكن الاحتكاك بالأعاجم، فكانت شبه الجزيرة العربية. أمّا القبائل التي جعلوا لغتها صالحة للاحتجاج فقد أورد السيوطي (ت 911 هـ) نقلاً عن الفارابي (339هـ) معظمها، إذ يقول : " والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتُدِي، وعنهم أُخِذ اللسان العربي، من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ".[50]

وقد أشادت المصادر بفصاحة قريش من بين القبائل المحتجّ بها؛ لأنها تبعد عن بلاد العجم، إذ تحيط بها القبائل العربية الفصيحة من كل جانب. [51] ويرى ابن فارس أنَّ قريش " مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها، إذا

---

[46]-ينظر: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط / 1 / ، 1421 هـ ، ص138 و 141.

47- ينظر: الاستشهاد بالحديث في اللغة ، محمد الخضر حسين ، (مقال منشور في مجمع اللغة العربية بالقاهرة) ، المطبعة الأميرية ببولاق 1355 هـ - 1937 م ، العدد الثالث 197 .

[48] - ينظر: في أصول النحو ، صالح بلعيد ،ص126.

– ينظر: لغة الشعر . دراسة في الضرورة الشعرية ، محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، القاهرة ط / 1/ 1416هـ – 1996م 57 .[49] 86 .

50– المزهر 211/1 ، وينظر: الاقتراح 19 .

51 – ينظر: مقدمة ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،عبد الرحمن بن خلدون، تح:أ.خليل شحادة، مراجعة د.سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1431 هـ–2001 م ،ص765 .

أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب ".[52]

وقد أشار ابن جنّي إلى فصاحة قريش إذ يقول:" ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن وتضجُّع قيس، وعجرفية ضبّة، وتلتلة بهراء ".[53]

وكان العرف العام أخذ اللغة عن العرب الخلّص أصحاب اللغة السليمة، " وبالجملة فإنّه لم يؤخذ عن حضريٍّ قط ولاعن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ".[54]

وذكر ابن جنّي" ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل، ولو عُلِمَ أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم لم يعترض شيءٌ من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم، كما يؤخذ عن أهل الوبر "[55]

أمّا المدة الزمنية المحتج بلغتها التي لم تفسد بعد، فتمتد حتى بداية الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، أي الفترة التي توفي فيها الشاعر ابن هرمة، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم.[56]

وقد بدأ التأمل في النحو قبل الزمن الذي حدده اللغويون للاحتجاج، إذ هناك بعض الظواهر التي تعود للإمام علي بن أبي طالب [57]، ولغيره من الصحابة مثل: عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ) [58]، وابن عباس (ت 68 هـ).[59]

ثم تطور النظر والتأمل عند الذين جاؤوا بعدهم من المفسرين واللغويين، نحو أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ)، ونصر بن عاصم (ت 89 هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز (117 هـ) وغيرهم من رجال الطبقة الأولى، وإن غلب على جهودهم الرواية والسماع.[60] ثم تعمق النظر وبدأت معالم القياس والتقعيد تأخذ طريقها عند رجال الطبقة الثانية، مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) وعيسى بن عمر(ت 149 هـ) وغيرهم.[61]

ثم أخذ الدرس يتطور بالقياس والتعليل والتقعيد عند سيبويه وشيوخه، أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس بن حبيب وغيرهما. ويبدو التطور في كتاب سيبويه بجوانب عديدة، كما في التقسيم والتصنيف للكلم وظواهر النحو، وفي التبويب وعرض الأمثلة ومحاكمة الشواهد، وفي القياس والمسائل التي ولّدها، وفي بيان الأوجه لما تحتمله العبارة،

---

52 – الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، تح: د.عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف، بيروت، ط/ 1/،1414هـ -1993م،ص55 .

53 – الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط / 2/ ، د.ت، 11/2 .

54 – المزهر 212/1.

55 – الخصائص 5/2.

56 – ينظر: الاقتراح 27.

57 – ينظر: البحر المحيط، لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف النحوي، تح: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ت 511/3 .

58 – ينظر: أمالي الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط / 2/،1407 هـ -1987 م،ص238 .

59 – ينظر: معاني القرآن 25/1.

60 – ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، محمد الطنطاوي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط / 1/ ، 1417 هـ. 1997 م ، ص 22 وما بعدها.

61 – ينظر: بغية الوعاة 2 / 313 ، الفهرست ، ص 59 ، 62 ، 133 ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 23 .

وفي التأويل بمظاهره المختلفة، وفي التمثيل للأحكام النحوية والمعنى النحوي، وفي التعليل والتفسير لقضايا التركيب بمظاهرها المتنوعة،وهذا التدرج ليس مستغرباً في البحث إذ تبدأ الظواهر بسيطة ثم تأخذ بالتعمق والتفصيل مع الأيام.

لقد حدد النحاة في مرحلة التقعيد بدايةً الميدان اللغوي الذي يمثل العربية الفصيحة، ثم انتقلوا إلى الخطوة الثانية وهي الاستقراء، أي : جمع المادة المسموعة، ثم شرعوا في الخطوة الثالثة وهي التصنيف وذلك بقياس بعض الشواهد على بعض، ثم انتهوا بالخطوة الرابعة المتمثلة بالتجريد، أي : إيجاد المصطلحات العلمية الدالة على مجموع التقسيمات والملاحظات النظرية التي استخلصت بالتصنيف.[62]

ويأتي دور التقعيد بعد الملاحظة والتقسيم والاصطلاح، إذ ينظر الباحث في أنواع التشابه المطردة بين المفردات التي تمّ استقراؤها، ويصفها بعبارة مختصرة، والقاعدة هنا ليست قانوناً يفرضه الباحث على المتكلمين باللغة، فمن وافقه كان محسناً ومن خالفه كان مسيئاً، وإنّما هي تعبير عن شيء لاحظه الباحث وكان عليه أن يصفه بعبارة مختصرة بقدر الإمكان، فالتقعيد هنا وصفي لا أثر للمعيار فيه. والفرق بين القاعدة بهذا الفهم وبينها بالفهم المعياري يبدو واضحاً في حالة من يتكلم اللغة بالسليقة فينحرف عما رأى الباحث أنه القاعدة، فيرفع ما قرر الباحث أنه منصوب أو ينصب ما قرر الباحث أنه مرفوع، فإذا كان اللغوي ميالاً إلى الصبغة الوصفية فسيلاحظ ذلك ويعرضها على معلوماته السابقة، فإذا ناسبتها دخلت نطاقها، وإذا خالفتها لم تكن المخالفة سبباً في اتهام أصالة هذا النص ولا الحكم عليه بأنه خارج طرق اللغة في التركيب، وإنما يروى هذا النص باعتباره ظاهرة فرعية إلى جانب القاعدة التي قد تعضدها دون أن تطعن فيها. أمّا إذا كان اللغوي ميالاً إلى الصبغة المعيارية فسيحدث منه ما حدث بين الفرزدق وابن أبي اسحق... وما أجمل قول الفرزدق فيها :(علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا). إذ هو بهذا يحدد الموقف تحديد الفاهم له، فهو صاحب سليقة وهم أصحاب منهج، و الخطأ في تطبيق المنهج لا يحكم على أصالة السليقة في اللغة. واشترط د. تمّام حسّان على الباحث أن يراعي الأمور الآتية في التقعيد:

1 . القاعدة وصف لسلوك علمي في تركيب اللغة، ويلاحظ أن يكون هذا السلوك مطرداً حتى يعبر عنه بالقاعدة

2. القاعدة لهذا السبب جزء من المنهج لا جزء من اللغة.

3 . القاعدة تتصف بالعموم ولكنها ليس من الضروري أن تتصف بالشمول، أي أن تكون عامة لا كلية... وقد عبّر بعض أصحاب المناهج في الماضي عن ذلك بقولهم: (إنَّ الشذوذ يبرر القاعدة)، ومن قواعد النحو العربي قاعدة تقول: (الشذوذ لا ينافي الفصاحة).

4. أن تكون القاعدة مختصرة قدر الطاقة، فإذا طالت فقدت عنصراً هاماً من عناصر كفايتها وفائدتها العلمية.

5. وما دامت القاعدة من نتائج الاستقراء فمن الضروري إيراد بعض الشواهد لتكون سنداً للقواعد وإيضاحاً لها ويحسن أن تكون كثيرة إلى حد ما.

ويكون الاستقراء والتقسيم والاصطلاح والتقعيد بعد جمع المادة اللغوية، ولم تحد الدراسات العربية كثيراً عن هذا الطريق إلّا فيما يختص ببعض الغلطات المنهجية الخاصة. أمّا جمع المادة واستقراؤها وتقسيمها وتسمية أقسامها ومفهوماتها، ثم وضع القواعد التي تصف جهات الشركة بين المفردات، فقد تمَّ كلّه على نحو يثير الإعجاب، وقد بذل فيه من الجهد ما سوف يظل أثره ملحوظاً أبد الدهر رغم الاعتراضات المنهجية.

لقد كان الرواة يرحلون إلى الصحراء فيلقون الأعراب ويجمعون عنهم النصوص ويروون لهم الأحاديث، ثم يعودون إلى البصرة أو غيرها من مراكز الثقافة، ويعلّمون الناس أو يبتغون التقرب من ذوي السلطان. ومنهم من بقي

---

[62]– ينظر: القاعدة النحوية، ص51– 65 .

بالبصرة ولكنه كان يغشى المربد، وهو سوقها الذي تؤمه الأعراب، حتى إذا ما جاء الأعراب عمد إلى مشافهتهم وإلى تخير نوادرهم وأخبارهم. والهدف من ذلك جميعه رواية النص كما نطقه الأعرابي.[63]

وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله:".... ولم أر غاية النحويين إلّا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلّا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج، ولم أرَ غاية رواة الأخبار إلّا كل شعر فيه الشاهد والمثل ".[64]

لقد سعى النحاة وراء الشعر الذي يمكنهم من استكمال استقرائهم لكلام العرب الذي يشهد لقاعدة معينة أو يشذ عنها، وقد تمَّ تقعيد القواعد النحوية الصرفية في اللغة العربية في عصر بدأ بأبي الأسود الدؤلي ثم سيبويه، وليس من الصواب أن ننسب إلى أي فرد بعينه ممن عاشوا في هذا العصر أنه أنشأ النحو العربي أو الصرف العربي، فكتاب سيبويه في مادته نتاجُ ذلك العصر أكثر مما كان نتاج سيبويه، ولكن فضل سيبويه يتضح في بسط المادة وتبويبها.[65]

خاتمة :

مما تقدم يمكن القول: إن الشاهد يمثل روح القاعدة النحوية، وقد بذل النحاة جهوداً كبيرة في حصر الشواهد وترتيبها وتبويبها، والشواهد التي حفظتها كتب النحو منذ قرون طويلة تمثل منبعاً يمد النحو بالحياة والحركة والاستمرار، ولكن هذه الشواهد ليست على درجة واحدة في المنزلة، فالقرآن الكريم هو الأصل الأول لأصول الاستشهاد، ولولا القرآن ما جمع الشعر الجاهلي أو الإسلامي، فالشعر دون القرآن في موطن الاستشهاد وفي مجال بناء القاعدة النحوية، فهناك عيوب للشعر كالتصحيف والإقواء وكثرة الأبيات المجهولة أو المنحولة. كما أن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف لم يكن موضع اتفاق بين النحاة فبعضهم منع الاستشهاد به بسبب الرواية بالمعنى وبعضهم أجازه. كما أن الحد الزماني للشواهد قد أبعد كماً كبيراً من الشعر العربي الذي كان من الممكن أن يقدم قيمة إضافية للنحو العربي.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم.
- الاحتجاج بالشعر في اللغة/الواقع ودلالته/، د. محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ-1986.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، تح: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/1/، 1418هـ-1998م.
- الاستشهاد والاحتجاج باللغة، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط/3/، 1988.
- أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط/1/،2007م.
- أمالي الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط /2/،1407هـ -1987 م.
- البحر المحيط، لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف النحوي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

[63]-ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص157 - 159 .

[64]-البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح: المحامي فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، 196م ، ج 322/3.

[65]-ينظر :اللغة بين المعيارية والوصفية،ص159 - 160.

- البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د.ت.
- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت،1968م.
- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت،1969 م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط /2/، د.ت.
- دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط /1/، 1421 هـ.
- ديوان رؤبة بن العجاج، تح: وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط/2/،1980م.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1/،1421هـ-2000م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، تح: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف بيروت، ط/1/، 1414هـ-1993 م.
- الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط/ 5/، 1401هـ-1996م.
- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تح: أهلين سيناء،دار الجبل، بيروت، ط/1/،1418هـ-1998 م.
- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحق ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، 1398 هـ- 1978 م.
- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ط/2/،1376هـ-1957م.
- في أصول النحو، صالح بلعيد ، دار هومة ، الجزائر،د.ط ، 2005 م.
- القاعدة النحوية /تحليل ونقد/، د.محمود حسن الجاسم، دار الفكر، دمشق، ط/1/، 1428هـ-2007م.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ 5/، 1416هـ1996م.
- الكتاب (كتاب سيبويه)، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه، تح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3/، 1408هـ1988م.
- لسان العرب، لابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- لغة الشعر-دراسة في الضرورة الشعرية،محمد حماسة عبد اللطيف،دار الشروق،القاهرة ط/1/،1416هـ1996م
- اللغة بين المعيارية والوصفية، الدكتور تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط /4/، 2000 م
- مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، دار الكتاب العربي بيروت، ط/1/،1979م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، تح : محمد أحمد جاد الله وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط/3/، د.ت.
- مصادر التراث النحوي، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية مصر، د. ط، 2003.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،محمد فؤاد عبد الباقي،دار الكتب المصرية،القاهرة،1939م.

- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط/ 1/، 1411هـ-1991م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط/3/ ، 1993 .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تح: مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط /6/، 1985م.
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، دت.
- مقدمة ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،عبد الرحمن بن خلدون، تح:أ.خليل شحادة، مراجعة د.سهيل زكار،دار الفكر، بيروت، 1431 هـ-2001 م.
- النحو التّعليمي في التراث العربي، محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط.
- النحو العربي شواهده ومقدماته، أحمد ماهر البقري، مؤسسة شباب الجامعة إسكندرية، د.ط، 1407هـ-1987م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، عالم الكتب، بيروت، ط /1/، 1417 هـ-1997 م.

المجلات والدوريات:

- الاستشهاد بالحديث في اللغة، محمد الخضر حسين، (مقال منشور في مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المطبعة الأميرية ببولاق 1355 هـ - 1937 م، العدد الثالث 197.
- منزلة الاستشهاد بالقرآن الكريم بين مصادر الاستشهاد النحوية، محمد عبد الله عطوات (مقال منشور في مجلة التراث العربي)، دمشق ،العدد 100/99.